الفصل الثانى :

شعراء معاصرون
من البلاد العربية والإسلامية

١- الأمير عبد الله الفيصل.. من السعودية

٢- نزار قبـــانـى.. من سوريا

٣- الهادي آدم.. من السودان

٤- على أحمد باكثير.. من اليمن

٥- أحمد العدوانـــى .. من الكويت

٦- جورج جرداق .. من لبنان

٧- محمد إقبال .. من باكستان

١ الأمير عبد الله الفيصل
شاعر من السعودية

تمثل أعمال الشاعر السعودى الأمير عبد الله الفيصل نقطة تحول هامة فى مسيرة حياة أم كلثوم مع شعراء القصائد العربية، وذلك من عدة جوانب.. من أهمها، أنه يعتبر أول أمير عربى مارس السياسة، وينتهى نسبه إلى إحدى الأسر الحاكمة- الآن فى المملكة السعودية ـ حيث كان والده المرحوم الملك فيصل بن عبد العزيز ملك السعودية الراحل.

هذا الأمير تغنت أم كلثوم بكلمات من إحدى قصائده. كما يعتبر فى الوقت نفسه أول شاعر عربى فى العصر الحديث تشدو بكلماته أم كلثوم، وذلك بعدما قطعت مشواراً طويلاً مع شعراء القصيدة العربية من القدامى، وكما سبق وذكرنا ذلك من قبل.

ولقد غنت كوكب الشرق أم كلثوم للأمير عبد الله الفيصل قصيدتين طويلتين إحداهما فى عام ١٩٦٢ بعنوان «ثورة الشك» .. والثانية فى عام ١٩٧١ بعنوان «من أجل عينيك».

وعندما رجعنا إلى الديوانين المنشور فيهما هاتين القصيدتين، وجدنا كالعادة أشياء كثيرة مختلفة وملاحظات هامة تستحق أن نتوقف أمامها طويلاً، وكما هو معروف فإن رحلتنا عبر هذه الكلمات تبدأ دائماً بإلقاء الضوء المبهر على ما شدت به أم كلثوم من كلمات .. ثم بعد ذلك نواصل المسير نحو الهدف المطلوب، للتحقق مما حدث من تعديلات أجريت على هذه القصيدة أو تلك!

***

ففى عام ١٩٦٢ غنت سيدة القصيدة العربية أم كلثوم كلمات اختارت لها عنوانًا يقول «ثورة الشك» للأمير عبد الله الفيصل.. وقد لحنها أمير الموسيقى العربية رياض السنباطى، وتقول هذه الكلمات:

أكاد أشك فى نفسى لأنى ... أكاد أشك فيك وأنت منى
يقول الناس إنك خنت عهدى ... ولم تحفظ هوايا ولم تصنى
وأنت منايا أجمعها مشت بى ... إليك خطى الشباب المطمئن

يكذب فيك كل الناس قلبى ... وتسمع فيك كل الناس أذنى
وكم طافت على ظلال شك ... أقضت مضجعى واستعبدتنى
كأنى طاف بى ركب الليالى ... يحدث عنك فى الدنيا وعنى
على أنى أغالط فيك سمعى ... وتبصر فيك غير الشك عينى
وما أنا بالمصدق فيك قولاً ... ولكنى شقيت بحسن ظنى
وبى مما يساورنى كثير ... من الشجن المؤرق لا تدعنى
تعذب فى لهيب الشك روحى ... وتشفى بالظنون وبالتمنى
أجبنى إذ سألتك هل صحيح ... حديث الناس ألم تخنى
أكاد أشك فى نفسى لأنى ... أكاد أشك فيك وأنت منى

وفى الديوان الذى نشرت به هذه القصيدة والذى صدر فى عام ١٩٥٤ تحت عنوان «محروم – وحى الحرمان» لاحظنا أن هذه القصيدة قد أصابها بعض التغيير الذى أدخلته أم كلثوم وشاركها الملحن رياض السنباطى، بعد استشارة الشاعر عبد الله الفيصل الذى قيل وقتها أنه جاء إلى القاهرة لإجراء هذه التعديلات.

فقد اختارت أم كلثوم عنواناً لهذه القصيدة.. وهو «ثورة الشك» بدلاً من عنوانها المكتوب بالديوان وهو «عواطف حائرة».. كما اختارت أم كلثوم من القصيدة الأصلية الأبيات الثلاثة الأولى، وأهملت الأبيات من الرابع حتى السادس .. وهى الأبيات التى يقول فيها الشاعر:

وقد كاد الشباب لغير عود ... يولى عن فتى فى غير أمن
وها أنا فاتنى القدر الموالى ... بإصلاح الشباب ولم يفتنى
كأن صباى قد ردت رواه ... على جفنى المسهد أو كأنى[1]

ومن بعد هذه الأبيات الثلاثة واصلت أم كلثوم اختيار كلمات وأبيات هذه القصيدة وفق ما ارتضاه المؤلف من ترتيب.

ومعنى ذلك أن العدد الكلى لأبيات هذه القصيدة وفق ما كتبه الشاعر .. ونشره فى ديوانه المنوه عنه .. هو أربعة عشر بيتًا .. أما أم كلثوم فقد غنت من هذه الأبيات اثنتى عشر بيتاً فقط.

***

(١) (ديوان : محروم – وحى الحرمان) ص٥٨دار المعارف فى بيروت – طبع عام ١٩٥٤.

وهناك ملحوظة هامة لابد من الإشارة إليها فى هذا السياق .. وهى أن هذا التبديل والتعديل لم يؤثر كثيراً فى سير أحداث القصيدة. سواء ونحن نسمعها بصوت أم كلثوم أو حتى حين نقرؤها من ديوان الأمير عبدالله الفيصل، وهنا تكمن العبقرية ويظهر الإعجاز!

***

وبعد نجاح قصيدة «ثورة الشك» أو «عواطف حائرة» ، وبعد مرور أكثر من تسع سنوات على تقديم أم كلثوم لتلك القصيدة عادت كوكب الشرق لتختار قصيدة ثانية من تأليف الشاعر الأمير عبد الله الفيصل، وهى التى تغنت بكلماتها فى عام ١٩٧١ تحت عنوان «من أجل عينيك» من تلحين رياض السنباطى أيضاً

وتقول كلماتها:

من أجل عينيك عشقت الهوى ... بعد زمان فيه الخلى
وأصبحت عينى بعد الكرى ... تقول للتسهيد لا ترحلى
يا فاتنًا لولاه ما هزنى وجد ... ولا طعم الهوى طاب لى
هذا فؤادى فامتلك أمره ... فاظلمه إن أحببت أو فاعدل

***

من بريق الوجد فى عينيك ... أشعلت حنينى
وعلى دربك أنى رحت ... أرسلت عيونى
والرؤى حولى غامت ... بين شكى ويقينى
والمنى ترقص فى قلبى ... على لحن شجونى

***

أستشف الوجد فى صوتك ... آهات دفينة
تتوارى بين أنفاسك كى ... لا استبينه
لست أدرى أهو الحب ... الذى خفت شجونه
أم تخوفت من اللوم ... فأثرت السكينة

***

ملأت لى درب الهوى بهجة ... كالنور فى وجنه صبح ندى
وكنت أن أحسست بى شقوة ... تبكى كطفل خانف مجهد
وبعد ما أغويتنى لم أجد ... إلا سرابًا عالقًا فى يدى
أهوى على قلبى يغتاله ... فى قسوة أعنف من حسدى

***

لا تقل أين ليالينا ... وقد كانت عذابًا
لا تسلنى عن أمانينا ... وقد كانت سرابًا
إننى أسدلت فوق الأمس ... سترًا وحجابًا
فتحمل مر هجرانك ... واستبق العتابا

***

لم أجن منه غير طيف سرى ... وغاب عن عينى ولم أهتدى
كم تضاحكت عندما كنت أبكى ... وتمنيت أن يطول عذابى
كم حسبت الأيام غير غوال ... وهى عمرى وصبوتى وشبابى
كم ظننت الأنين بين ضلوعى ... رجع لحن من الأغانى العذابى
وأنا أحتسى مدامع قلبى ... حين لم تلقنى لتسأل ما بى

***

وفى الديوان الذى صدر تحت عنوان «حديث قلب» .. أخذنا فى البحث عن أصل هذه القصيدة لأجل الوصول إلى تأصيل حقيقى لها من واقع ما سطره الشاعر عبد الله الفيصل.. وما إذا كانت هناك تعديلات جوهرية قد أجرتها أم كلثوم على هذه القصيدة .. أم غنتها كما هى .. وكما كتبها الشاعر.

ومن أعجب ما عثرنا عليه داخل هذا الديوان الذى طبع فى عام ١٩٧٠ .. وجود عدة أصول لقصيدة «من أجل عينيك» وليس أصل واحد! ، أو بمعنى آخر وجدنا أن هذه القصيدة التى غنتها أم كلثوم بهذا العنوان .. هى فى الحقيقة مجموعة من القصائد!!

فقد أخذت أم كلثوم تنتقى من عدة قصائد من تأليف الأمير عبد الله الفيصل . عدة أبيات.. أطلقت عليها فى النهاية اسم «من أجل عينيك» ، مع أن القصيدة الأصلية والتى

نشرت بالعنوان ذاته فى الديوان نفسه موجودة .. وعدد أبياتها تسعة عشرة بيتًا، إلا أن كوكب الشرق قد اختارت من هذه القصيدة .. أربعة أبيات فقط .. اثنان فى أول القصيدة وهما:

من أجل عينيك عشقت الهوى ... بعد زمان كنت فيه الخلى
وأصبحت عيناى بعد الكرى ... تقول للنسهيد لاترحلى

أما البيتين الأخيرين فقد اختارتهما أم كلثوم من الجزء الثانى من نفس القصيدة.. وهما

يا فاتنا لولاه ماهزنى ... وجد ولاطعم الهوى طاب لى
هذا فؤادى فامتلك أمره ... وأظلمه إن أحببت أو فأعدل

والغريب فى هذا الاختيار.. أن البيتين المذكورين جاءا بلا ترتيب فى القصيدة المنشورة بالديوان.. بمعنى .. أن البيت الذى تقول فيه: «يا فاتنا لولاه ماهزنى» .. كان يتلوه بيت آخر ومطلعه يقول: «يا من على أقدامه بُعثرت» .. أما البيت الذى مطلعه .. «هذا فؤادى فامتلك أمره» فقد جاء ترتيبه السادس !!.

وأما الأكثر غرابة فى هذا الإختيار أن الجزء الثانى مما غنته أم كلثوم تحت عنوان «من أجل عينيك.. وعدد أبياته أربعة .. نشر فى الديوان ضمن قصيدة أخرى بعنوان «بريق الوجد» !! وهو الجزء الذى تقول فيه:

"من بريق الوجد فى عينيك أشعلت حنينى "!

ثم ضمت إليه الجزء الثالث من القصيدة نفسها والذى تقول فى مطلعه:

"أستشف الوجد فى صوتك آهات دفنيه"!

والجزء الرابع الذى تقول فيه أم كلثوم :«ملأت لى درب الهوى بهجة» فقد اختارته من قصيدة ثالثة بعنوان : «كأس الخداع» !!

وقد غيرت فيه بعض الكلمات.. وحتى يتمشى مع الألحان.. فاختارت كلمة «ملأت» بدلاً من «فرشت» !. وكلمة «بهجة» بدلاً من كلمة «زاهياً» ، هذا ما حدث فى البيت الأول من هذا الجزء.. أما بالنسبة للبيت الثانى .. فقد اختارت كلمة » شقوة » بدلاً من «لوعة» ! ،.. ليس هذا فقط .. بل ونراها قد أهملت بيتاً.. ذكره الشاعر وسط هذه الأبيات وهو الذى قال فيه:

لـو مَـلّـتِ الأنجـم تـسـهـادهـا ... مـاهـزك الـشـوق إلـى المـرقـد

وأما الجزء الخامس والذى تقول فى مطلعه أم كلثوم: لاتقل أين ليالينا»!

فقد اختارت أبياته وعددها أيضاً أربعة من قصيدة رابعة بعنوان «المغيب» !!، كما غيرت كذلك فى بعض كلماته .. إذ اختارت كلمة «ليالينا» بدلاً من كلمة » عشايانا» فى البيت الأول من هذا الجزء ..

وفى البيت الثانى اختارت كلمتى «كانت سرابا» بدلا من كلمتى «أمست يبايا»!، وفى البيت الثالث استبدلت كلمة «أننى أسدلت» بدلاً من كلمة «فلقد ألقيت».. وفى البيت الأخير غيرت كلمة «وزر».. واختارت بدلا منها كلمة «مُر»!

والجزء الأخير من قصيدة «من أجل عينيك» التى شدت بها أم كلثوم من تأليف الشاعر السعودى الأمير عبد الله الفيصل.. فقد اختارته أيضاً من قصيدة له بعنوان «دورة الأيام» والتى يقول هو فى مطلعها.

لاتحـاول خـداع قـلـبـى الـعـلـيـل ... بـالـحـديـث المـنـمـق المـعـسـول

وقد شمل هذا الجزء أيضاً تغييراً فى بعض كلماته.. إذ بدلت أم كلثوم فى البيت الثانى من هذا الجزء كلمة «عذابى» بدلا من «انتحابى» وفى البيت الرابع غيرت فى السطر الثانى فأصبح :«رجع لحن من الأغانى العذابى بدلاًمن: «نغماً تلتقيه بالترحاب »!

وفى البيت الخامس والأخير من هذا الجزء من القصيدة.. اختارت أم كلثوم كلمة: «وأنا أحتسى مدامع قلبى».. بدلاً من :«كنت أحسو من غيرتى دمع قلبى»!، وفى الشطر الثانى غيرت كلمة «لم تلقنى».. بدلاً من «لم تأتى»!

***

وبحسبة بسيطة يتضح لناأن قصيدة« من أجل عينيك »التى شدت بها أم كلثوم .. قد اختارت كلماتها من خمس قصائد !!.. وقد وافقها المؤلف الشاعر عبدالله الفيصل على ذلك!، والدليل ما تناقلته الصحف والمجلات الصادرة آنذاك. حيث قالت هذه الصحف:«وسوف يحضر المؤلف إلى القاهرة للاستماع إلى الأغنية. كما سيقابل أم كلثوم بعد الوصلة الأولى حيث تكون قد انتهت من تقديم قصيدته..[1].

***

(١) جريدة الجمهورية فى ١٩٧١/١/٦.

وكما تعودنا معاً من قبل.. كان لابد من كتابة إطلالة عن هذا الشاعر الأمير.. من أجل أن تكتمل الفائدة المرجوة من وراء هذا العمل .. ومما لاحظناه أن الشاعر قد أشار إلى بعض ملامح حياته فى مقدمة ديوانه «وحى الحرمان» وقد اختار لها عنوانا تقول كلماته . «أجل .. أنا محروم» !، ومما ذكره فى هذا الشأن قوله :«قبل أن أتخطى السنة الأولى من عمرى أبعدت الظروف أبى عنى سنوات كثيرة متعاقبة لاشتغاله بالحرب والغزوات وشد أزر أبيه وتوطيد ملكه»(١).

ولد الشاعر عبدالله الفيصل فى مدينة الرياض فى عام ١٩٢٢ ، وهو من الأسرة السعودية الحاكمة، فهو نجل أو الابن الأكبر لشهيد الإسلام الملك فيصل وجده هو الملك عبدالعزيز آل سعود، ووالدته هى الأميرة سلطانة السديرى.

عاش الشاعر السنوات الخمس الأولى من حياته فى كنف جده الملك عبدالعزيز فى الرياض، وقد اختاره فيما بعد رغم حداثه سنة وزيراً للداخلية ثم وزيراً للحج، ثم انتقل بعد ذلك إلى مكة حيث عاش فى كنف والده الملك فيصل الذى كان آنذاك نائب الملك على الحجاز.

---

(١) الديوان السابق الإشارة إليه.

٢ نزار قباني
شاعر من سوريا

كانت خطوة جريئة بحق تلك التى أقدمت عليها كوكب الشرق أم كلثوم حين اختارت كلمات من قصائد الشاعرالسورى المولد واللبنانى الإقامة نزار قبانى ، بل ونستطيع القول فى السياق نفسه أنها كانت بالفعل مغامرة عظيمة من فنانة عظيمة، إذ اختارت لشاعر الحب والمرأة والحرير والعطور ، كلمات وطنية لكى تشدو بها.. على عكس ما كان متوقعاً، وهى الفنانة رقيقة المشاعر التى تغنت بالحب والآهات لأكثر من أربعين عاماً.

وكأنما كانت تريد بهذا الاختيار الغريب توصيل مضمون رسالة إلى كل الفنانين فى كل العصور .. بأن الفن لايعرف المستحيل وكذلك لايعرف الحدود أو الفواصل السياسية أوالجغرافية.

وعلى الرغم من أن اختيار سيدةالقصيدة العربية أم كلثوم لكلمات من قصيدتين كبيرتين للشاعر نزار قبانى، قد جاء متأخراً إلى حد ما، فقد كان هذا الاختيار موفقاً إلى حد بعيد، ومواكباً أيضاً لاثنين من أهم أحداثنا السياسية المحلية والعربية.. وهما اندلا ع الانتفاضة الفلسطينية ضد إسرائيل فى عام ١٩٦٩ ، فاختارت أم كلثوم كلمات من قصيدة نزار قبانى «طريق واحد» وغنتها تحت عنوان «أصبح الآن عندى بندقية» ، وعندما رحل جمال عبدالناصر اختارت كوكب الشرق كلمات القصيدة الثانية لنزار قبانى لكى تغنيها تحت عنوان «رسالة إلى والدنا عبدالناصر» !

***

وكان لكل من هاتين القصيدتين حكاية بدأت مع الكلمات وانتهت بالألحان مع صوت أم كلثوم، ولكن ما هى تفاصيل هذه الحكاية؟ ذلك ما سوف نعرفه بعد لحظات ومن خلال الكلمات التالية:

بالنسبة لقصيدة «طريق واحد».. والتى أصبح اسمها :«عندى بندقية» كما يقول مطلعها. فقد شدت بها أم كلثوم فى عام ١٩٦٩ كما سبق ذكرنا، وسجلتها أيضاً فى نفس العام على اسطوانة صوت القاهرة من ألحان الموسيقار محمد عبدالوهاب .

وتقول كلمات هذه القصيدة البالغ عددها ثمانية عشر بيتاً وفق منظور الشعر الحديث:

أصبح عندى الآن بندقية
إلى فلسطين خذونى معكم
إلى ربى حزينة كوجه مجدلية
إلى القباب الخُضر والحجارة البنية
عشرون عاماً وأنا أبحث
عن أرض .. وعن هوية
أبحث عن بيتى الذى هناك
عن وطنى المحاط بالأسلاك
عن كتبى.. عن صورى
عن كل ركن دافىء.. وكل مزهرية
إلى فلسطين خذونى معكم يا أيها الرجال
أريد أن أعيش أو أموت كالرجال
أصبح عندى الآن بندقية
أصبحت فى قائمة الثوار
أفترش الأشواك والغبار
وألبس المنية
وأنا مع الثوار أنا مع الثوار
من يوم أن حملت بندقيتى
أبحث عن طفولتى
صارت فلسطين على أمتار
يا أيها الثوار فى القدس فى الخليل فى بيسان فى الأغوار
فى بيت لحم حيث كنتم أيها الأحرار
تقدموا... تقدموا
إلى فلسطين طريق واحد
يمر من فوهة بندقية
إلى فلسطين طريق واحد..

***

وقد كلفت أم كلثوم موسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب بوضع اللحن المناسب لهذه القصيدة الوطنية.. وذلك بعد حذف واختيار واستبدال بعض الكلمات بعد استشارة مؤلفها نزار قبانى. إذ اكتشفنا حين رجعنا كالعادة إلى الديوان المنشور فيه هذه القصيدة وجود تغيير ملحوظ قد حدث، وذلك حتى تتوافق الكلمات مع صوت أم كلثوم .

ومما لاحظناه فى هذا السياق أن كوكب الشرق قد أهملت بعض الأبيات، واختارت البعض الآخر، فقد بدأت هذه القصيدة وفق ما سطره نزار قبانى بقوله:

أريد بندقية

خاتم أمى بعته

من أجل بندقية

ويستمر نزار فى كلمات هذه المقدمة على هذا المنوال حتى قوله:

قصائد الشعر التى حفظنا

ليست تساوى درهماً

أمام بندقية

وقد اختارت أم كلثوم حين غنت هذه القصيدة، بداية مختلفة تماماً إذ بدأت من الجزء الثانى من القصيدة والذى تقول كلماته:

أصبح عندى الآن بندقية

وكذلك غيرت أم كلثوم فى بعض كلمات هذا الجزء ، فاستخدمت كلمة «وطنى» بدلاً من «بيتى» .. فى البيت الذى يقول فيه الشاعر..

أبحث عن بيتى الذى هناك

ليس هذا فقط .. بل اتضح لنا أن أم كلثوم قد أهملت عدة أبيات من الجزء الثالث وهى التى يقول فيها نزار:

أريد أن أنبت فى ترابها.. زيتونة أو حقل برتقال

أو زهرة شذية

قولوا لمن يسأل عن قضيتى

بارودتى .. صارت هى القضية

وأما بالنسبة للجزء الرابع من هذه القصيدة، فقد أهملت فيه أم كلثوم أيضاً عدة أبيات.. قالها نزار قبانى فى ذات القصيدة ونشرها فى ديوانه المنوه عنه.

وهذه هى الأبيات:

مشيئة الأقدار لاتردنى

أنا الذى أغير الأقدار.

وكذلك البيت الذى يقول فيه الشاعر:

قصة السلام مسرحية

والعدل مسرحية

ولو رجعنا مرة أخرى للاطلاع على هذه التعديلات والوقوف أمامها بهدوء.. سوف نلاحظ كذلك شيئين هامين .. الأول أن أم كلثوم أرادت من وراء اختيار هذه الأبيات .. اختصار وقت غناء القصيدة. كما استهدفت من وراء ذلك أيضاً ألا تدخل نفسها فى مواقف سياسية قد تجر عليها بعض المشاكل إذا ما غنت كلمات نزار قبانى بلا تعديل، الذى كان يقصد من وراء ذلك وصف أوضاع بعينها سواء داخل مصر أو خارجها.

وكانت أم كلثوم فى ذلك محقة كل الحق. .لأن هدفها فى الأساس هو هز الوجدان العربى واستثارته للوقوف فى وجه العواصف بلاخوف مستظلاً بصوتها وبحنجرتها القوية.

وعلى أية حال، فقد وصلت براعة أم كلثوم فى مجال اختصارها لهذه القصيدة حداً، جعلنا لم نلاحظ فيه أية خلل.. وكان ذلك دائما هو نهجها منذ أن أقدمت على غناء القصائد العربية مع مطلع العشرينيات من هذا القرن.. وقد لمسنا ذلك نحن بالفعل.

***

وماحدث فى القصيدة الأولى فى عام، ١٩٦٩ . . حدث كذلك للقصيدة الثانية التى شدت بها أم كلثوم فى عام ١٩٧٠ فور رحيل الرئيس جمال عبدالناصر.. إذ غيرت أم كلثوم من اسم القصيدة وبعض كلمات فى أبياتها .

وهذه القصيد التى غنتها تقول :

والدنا جمال عبدالناصر

عندى خطاب عاجل إليك

من أرض مصر الطيبة

من ليلها المشغول بالفيروز والجواهر

ومن مقاهى سيدى الحسين من حدائق القناطر

من ترع النيل التى تركتها حزينة الضفائر

عندى خطاب عاجل إليك

من الملايين التى تيمها هواك

من الملايين التى تريد أن تراك

عندى خطاب كله أشجان

لكننى .. لكننى يا سيدى

لا أعرف العنوان.

والدنا جمال عبدالناصر

وساعة الجدار.. من ذهولها.. ضيعت الأيام

يا من سكنت الوقت والتاريخ والأيام

عندى خطاب عاجل إليك

لكننى .. لكننى يا سيدى

لا أجد السلام .. لا أجد الكلام!

والدنا جمال عبد الناصر

الحزن مرسوم على الغيوم، والأشجار، والمنابر

وأنت سافرت ولم تسافر

فأنت فى رائحة الأرض وفى تفتح الأزهار

فى صوت كل موجة، وصوت كل ثائر

فى كتب الأطفال، فى الحروف، فى الدفاتر
فى خُضرة العيون وارتعاشة الأساور
فى صدر كل مؤمن، وسيف كل ثائر
عندى خطاب عاجل إليك
لكننى - لكننى ياسيدى
تسحقنى مشاعرى.
الزرع فى الغيطان، والأولاد فى البلد
ومولد النبى
والمآذن الزرقاء
والأجراس فى يوم الأحد
وهذه القاهرة التى غفت
كزهرة بيضاء فى شعر الأبد
يسلمون كلهم عليك
يقبلون كلهم يديك
ويسألون عنك كل قادم إلى البلد
متى تعود للبلد ؟!
حمائم الأزهر، يا حبيبنا تهدى لك السلام
معديات النيل، ياحبيبنا ، تهدى لك السلام
والقطن فى الحقول والنخيل والغمام
جميعها.. جميعها تهدى لك السلام
كرسيك المهجور فى منشية البكرى يبكى فارس الأحلام
والصبر لا صبر له
والنوم.. لاينام

يا أيها المعلم الكبير.. كم حزننا كبير
كم جرحنا كبير
لكننا نقسم بالله العلى القدير
أن نحبس الدموع فى الأحداق
ونخنق العبرة
نقسم بالله العلى القدير
أن نحفظ الميثاق ونحفظ الثورة.
وعندما يسألنا أولادنا
من أنتم؟.. فى أى عصر عشتم؟!
فى عصر أى ملهم؟... فى عصر أى ساحر؟
نجيبهم : فى عصر عبد الناصر
الله .. ما أروعها شهادة
أن يوجد الإنسان فى زمان عبدالناصر.

***

وأما بالنسبة لأهم التعديلات التى أجريت من قبل أم كلثوم وملحنها الموسيقار الكبير رياض السنباطى فقد اختارت أم كلثوم عنوان «خطاب» بدلاً من العنوان الذى اختاره الشاعر وهو «رسالة إلى جمال عبدالناصر» كما أجرت بعض التعديلات على كلمات هذه القصيدة.. بما يناسب اللحن والصوت.

وقد تعمدت فى هذا السياق أن تكرر الشطرالذى بدأت به القصيدة وهو غير موجود أصلاً .. وهذا الشطر تقول فيه :«والدنا عبدالناصر» كما استبدلت كلمة «هذا خطاب» بكلمتى: «عندى خطاب».

وهذه التعديلات نفسها.. قد لفتت أنظار الصحفيين الذين تابعوا لحن هذه القصيدة. وقد كتبوا عن ذلك فى حينه، فنشرت إحدى الصحف اليومية فى يوم ١٧ نوفمبر من عام ١٩٧٠ تحت عنوان : أم كلثوم تختزل قصيدة نزار لتذاع فى ٩ دقائق .. تقول:

اختارت أم كلثوم لأغنيتها الجديدة التى كتبها الشاعر نزار قبانى اسم «خطاب» بدلاً من «رسالة إلى عبدالناصر» .. كما اختصرت شطراتها لتذاع فى مدة لاتزيد عن تسع دقائق، وفى الوقت نفسه عدلت فى بعض الكلمات مثل «أدمنت هواك».. لتصبح «تيمها

هـــواك».. وكـلـمـة «المـنـابـر» بـدلاً مـن «الـسـتـائـر» «وصـوت كـل ثـائـر» بـدلاً مـن «كـل طائر..»[1].

كما أشارت هذه الصحيفة إلى أن القصيدة من تلحين رياض السنباطى الذى أجرى سبعة عشرة بروفة لام كلثوم من قبل أن تشدوبها.

***

ورغم أن شاعر الحب والنساء والحرير والشباب معروف لنا جميعاً باعتباره أحد رواد الشعر الحديث فى اللغةالعربية.. إلا أننا سوف نقدم عنه الشيء اليسير من لمحات حياته الخاصةوالأدبية.

فقد ولد الشاعر نزار قبانى فى مدينة دمشق فى شهر مارس عام ١٩٢٢ وتخرج من كلية الحقوق ، ليشغل عدداً من المناصب الدبلوماسية فى العديد من بلاد العالم منها القاهرة وأنقرة ولندن .

بدأ نزار مشواره مع الشعر وهو فى الرابعة عشرة من عمره.. كما صدر ديوانه الأول بعنوان «قالت لى سمراء» .. فى عام ١٩٤٥ ، وكان لصدوره ثورة وضجة إذ تحدث فيه بوضوح غير مسبوق عن العلاقات الخاصة بين الرجل والمرأة.

وعندما ظهر ديوانه الثانى «طفولة نهد» حدث تغيير أساسى وواضح فى إسلوبه .. إذ تحول من الجنس إلى الحب، وهذا اللون الجديد من الشعر تأثر به نزار قبانى عن الشاعر الفرنسى «جاك بريفير».

وقد أتم نزار قبانى نضوجه الشعرى فى ديوان «قصائد» إذ اتجه فيه اتجاهاً موضوعياً.. مع ما تعامل به من قضايا .. من أهمها التعبير عن مأساة المرأة والجريمة.

ويؤكد الشاعر نزار القبانى أن كل قصائده مستوحاه من تجاربه الخاصة.. حيث لا يؤمن بالتجربة المستعارة . كما أكد فى سيرته الذاتية أن مهمته الأولى: «حين بدأت الكتابة أن أحرر الشعر من كل السلطات غير البشرية وعلى رأسها سلطة الملائكة وسلطة الشياطين»[2].

رحل نزار قبانى عن عالمنا فى ٣٠ أبريل عام ١٩٩٨ تركاً وراءه رصيداً كبيراً من الإنتاج الشعرى ومن الكتابات الأدبية الأخرى، وذلك عن عمر يناهز الخامسة والسبعين إلا أشهر قليلة!..

---

(١) جريدة الأهرام فى ١٩٧٠/١١/١٧.

(٢) جريدة الحياة فى ١٩٩٨/١/١٦.

٣ الهادى آدم
شاعر من السودان

مما هو ملاحظ بشأن تعامل كوكب الشرق أم كلثوم مع شعراء القصائد العربية فى العصر الحديث.. أنها كانت تلجأ كثيراً إلى تغيير كلمات وشطرات كثيرة فى هذه القصائد !. إلى درجة أنها كانت تلجأ أحياناً لهذا الشاعر أو ذاك لكتابة أبيات جديدة لم تكن منشورة فى ديوانه الذى نشر به هذه القصيدة! وذلك إرضاء لأم كلثوم وللحن هذه القصائد!.

ويبدو أن ممارستها الطويلة لغناء هذه القصائد قد مكنها من ذلك، لدرجة تمكنها من إقنا ع شعرائها بإجراء هذه التعديلات بلا أدنى اعتراض!.

ولانستطيع أن نقول أن سبب ذلك يرجع فقط إلى إمنية الشاعر العربى وحبه لصوت أم كلثوم . الذى سوف يساهم فى نشر كلماته ويشتهر هو نفسه من خلال حنجرتها الذهبية، وجمهورها العريض، وإن كان ذلك السبب غير بعيد عن المناقشة!

والغريب أن أم كلثوم لم تستثنى من هذه القاعدة حتى الشعراء الكبار من أمثال الأمير عبد الله الفيصل ونزار قبانى!، بل والأكثر غرابة.. أننى أتصور أن هذا الشاعر أو ذاك بعدما يستمع لكلماته من صوت أم كلثوم يود أن يعيد نشر هذه القصيدة بالكلمات الجديدة فى ديوانه الذى نشرت به القصيدة من قبل إجراء هذه التعديلات!.

ويعتبر الشاعر السودانى الهادى آدم من أكثر الشعراء العرب المعاصرين الذين عاشوا هذه التجربة مع أم كلثوم .. وذلك عندما غنت له قصيدته «أغداً ألقاك».

وقد نتعجب حين تعرف أن هذا الشاعر قد اضطر إلى تغيير أبيات بأكملها، بل وتغيير شطرات من أشعاره فى هذه القصيدة حتى تغينها أم كلثوم. وقد جاء إلى القاهرة من أجل هذا الغرض بعدما اختارت كوكب الشرق إحدى قصائده وفق ما رواه الشاعر والكاتب الصحفى صالح جودت.

ليس هذا فقط، بل إن لاختيار أم كلثوم هذه القصيدة بالذات قصة طريفة يرويها شاهد عيان.. كان حاضراً وقت الاتفاق على هذا الاختيار.

ففى عام ١٩٧٠ نشر الشاعر صالح جودت فى إحدى مقالاته الأسبوعية يقول : إنه بعد أن غنت أم كلثوم حفلتيها فى السودان فى العام الأسبق عادت من هناك تحمل فى صدرها شحنة دافقة من الحب للسودانيين وقالت لى يومئذ: إن البلاد العربية جميعاً تعيش مع مصر فى محنة النكسة ، ولكن أعمقهم شعوراً بها هم أهل السودان. إن مستوى الألم فى النفس السودانية هو نفس مستواه فى النفس المصرية، لقد كنت أدخل بيوتهم فأحس أنى فى بيتى وألتقى بهم فأشعر بأننى بين أهلى وعشيرتى »[١].

ثم أضاف فى حديثه ما يتعلق بشأن ماغنته أم كلثوم قائلاً : وسألتنى أم كلثوم كيف أستطيع أن أعلن عن حبى لأهل السودان، وقبل أن أجيبها قالت : بأن أغنى قصيدة للشاعر من السودان.

***

وكانت تلك الرغبة وفق ما رواه الشاعر صالح جودت هى الدافع الأساسى لدى أم كلثوم لكى تغنى فعلاً كلمات من أحدى قصائد أحد شعراء السودان المعاصرين.. ومن أجل هذا الغرض كلفت صالح جودت نفسه للبحث عن هذه القصيدة.. وهذا يتضح لنا مما قاله فى المقال السابق الإشارة إليه حين قال: «واتفقنا على أن نبحث عن القصيدة المنشورة، وطفت بمكتبات القاهرة واستعنت بالأصدقاء فتجمعت لدى سبعة دواوين لسبعة شعراء، ومضيت أدرسها ثم اخترت من كل منها قصيدة تتوفر فيها الصلاحية الغنائية. وأرسلت القصائد السبع لأم كلثوم لتفاضل بينها .

وبعد أيام سألتنى أم كلثوم أيهم أفضل قلت : لقد تركت لك مهمة المفاضلة، حتى لا أكون منحازاً لشاعر دون آخر، قالت : لقد أخترت واحدة منهم بالفعل ولكن لن أذكرها لك حتى أعرف رأيك، قلت : إذا كنت تصرين فإننى أفضل قصيدة الهادى آدم فهى أصلحهم للغناء.. قالت بخفة ظالها المعهود : برافوا علىّ أنا فهذه هى القصيدة التى اخترتها بالفعل».

***

(١) الكواكب فى ٢٦ /٥/ ١٩٧٠.

ومن بعد هذا الاختيار شدت أم كلثوم فعلاً بكلمات هذه القصيدة بعد أن وضع لها الألحان المتميزة محمد عبد الوهاب وهى التى تقول فيها كوكب الشرق:

أغـد ألـقـاك يـاخـوف فـؤادى مـن غـد ... يا لشوقى واحتراقى فى انتظار الموعد
آه كم أخشى غدى هذا وأرجوه اقتراباً ... كنت أستدنيه لكن هبته لما أهابا
وأهلت فرحة القرب به حين استجابا ... هكذا احتمل العمر نعيما وعذاباً
مهجة حرى وقلباً مسه الشوق فذابا ... أغـــــدا الـــــقـــــاك.

***

أنت يا جنة حبى واشتياقى وجنونى ... أنت ياقبلة روحى وانطلاقى وشجونى
أغداً تشرق أضواؤك فى ليل عيونى ... آه من فرحة أحلامى ومن خوف ظنونى
كم أناديك وفى لحنى حنين، ودعاء ... يا رجائى أنا كم عذبنى طول الرجاء
أنت لولا أنت أنت لم أحفل بمن راح وجاء ... أنا أحيا فى غد الآن بأحلام اللقاء
فأت أو لا تأت أو فافعل بقلبى ما تشاء ... أغـــــدك الـــــقـــــاك

***

هذه الدنيا كتاب أنت فيه الفكر ... هذه الدنيا ليال أنت فيها العمر
هذه الدنيا عيون أنت فيها البصر ... هذه الدنيا سماء أنت فيها القمر
فارحم القلب الذى يصغو إليك ... فغداً تملكه بين يديك
وغداً تتألق الجنة أنهاراً وظلاً ... وغداً ننسى فلا نأسى على ماض تولى
وغداً نسمو فلا نعرف للغيب محلا ... وغداً للحاضر الزاهر نحيا ليس إلا
قد يكون الغيب حلواً ... إنما الحاضر أحلى

أغـــــدك الـــــقـــــاك

***

ولقد شدت أم كلثوم بهذه القصيدة يوم الخميس ٦ مايو عام ١٩٧١ .. كما سجلتها على أسطوانة لصوت القاهرة فى العام نفسه.

وكالعادة حين رجعنا إلى ديوان الشاعر السودانى الهادى آدم و الذى نشر به هذه القصيدة، وجدنا أن ما نشر بالديوان شيء وما غنته أم كلثوم شيء مختلف تماماً !!، حتى أنه قد خيل إلىّ أن الشاعر السودانى قد اضطر لإعادة صياغة كلمات هذه القصيدة من جديد! وذلك إرضاء لأم كلثوم وشهرتها العريضة.

ففى الديوان المنوه عنه والذى صدر فى عام ١٩٦٢ تحت عنوان «كوخ الأشواق» عن إحدى دور النشر السودانية بالقاهرة وجدنا أن قصيدة «أغدا ألقاك» عنوانها الأساسى هو «الغد» !، وأن مطلعها هو :

أغداً ألقاك يا لهف فؤادى من غد وأحييك ولكن بفؤادى أمريدى!

عندئذ أدركت وعلى الفور أن هناك العشرات من التعديلات التى طلبتها أم كلثوم من الشاعر الرقيق الأحاسيس.. وقد أشار صالح جودت نفسه -وهو الذى يعود إليه الفضل فى إختيارها إلى وجود هذه التعديلات ـ حيث قال :«وجاء الهادى آدم إلى القاهرة والتقى بأم كلثوم وكان معهامحمد عبد الوهاب . وقرأوا القصيدة مرة واثنين وثلاثاً وعشراً وعدلوا وبدلوا وقدموا وأخروا ، إلى أن استقروا على الصورة النهائية لهذه القصيدة. وقد بقيت فى أدراج أم كلثوم حوالى عام قبل أن تشدو بها..» !

***

ومما تجدر الإشارة إليه أن كم التعديلات التى إجريت على كلمات هذه القصيدة كبير لدرجة لم نعهدها فى غيرها من القصائد التى تغنت بها أم كلثوم، وأولى هذه التعديلات كما سبق وذكرنا كان فى عنوان القصيدة نفسها ثم شمل بعد ذلك الأبيات والكثير من كلمات هذه الأبيات.

ففى البيت الأول استبدلت أم كلثوم كلة «ياخوف».. بدلاً من «يالهف» !، كما غيرت الشطر الثانى من البيت نفسه بحيث أصبح يقول:

يا لشوقى واحتراقى فى انتظار الموعد..

بدلاً من ، وأحييك ولكن بفؤادى أمريدى!

كما أهملت أم كلثوم ثلاثة أبيات أخرى من هذه القصيدة، نشروا بالديوان على هيئة شطرات منفصلة.. وهى التى يقول فيها الشاعر السودانى:

أم بطرف خاشع اللمح كليل مجهد
لست أدرى كيف ألقاك ولكنى صدى
ظامئ أرهقه البين وطول الأمد

***

ووفقا للترتيب العام للأبيات فى هذه القصيدة المنشورة بالديوان فقد بدلت أم كلثوم فى مواقع بعض هذه الأبيات، مثال ذلك أنها قدمت الأبيات التى تقول مطلعها: «أه كم أخش غدى هذا وأرجوه اقتراباً» ..على الأبيات التى تقول فى مطلعها: «أنت ياجنة حبى واشتياقى وجنونى»!

وتزامن ذلك مع التعديل الذى أدخلته أم كلثوم على بعض كلمات هذه الأبيات..فنراها قد اختارت كلمات..:«أه كم أخشى» ... بدلاً من «أنا أخشى» وكذلك :«وأهلت فرحة القرب به» بدلاً من :« وتولت الدهشة القرب».. وكلمة «أحتمل» بدلاً من «أستبطن»!

كما شهد الجزء الأخير من هذه القصيدة تغييرات كثيرة أيضاً سواء فى تغيير الكلمات نفسها أو فى إضافة أبيات جديدة كتبها الهادى آدم ولم تكن موجودة فى قصيدته المنشورة بالديوان المنوه عنه!

ففى الأبيات التى تقول فيها أم كلثوم: «هذه الدنيا كتاب أنت فيه الفكر»، كانت فى الأصل: «هذه الدنيا سماء أنت فيها القمر» كما غيرت فى البيت الثانى كلمات «عيون أنت فيها البصر»!

***

والملاحظة الواجب الإشارة إليها هنا أن الشاعر السودانى.. قد اضطر بالنسبة للجزء الأخير من هذه القصيدة إلى إعادة صياغته بالكامل.. حتى تقبل أم كلثوم أن تشدو بها، ولك عزيزى القارىء أن تقارن بين ماكتبه هذا الشاعر وبين ماغنته أم كلثوم إذا ما رجعت لما نشير إليه حالاً بشأن ماكتبه وما نُشر فى ديوانه «كوخ الأشواق»..

والكلمات التى كتبها الهادى آدم فى هذا الديوان تقول:

أتغنا بالك ولكن ظن كيف تشاء | وأنا ديك ولكن نداءاتي دعاء
يارجاني أنا وحدى أدنى منك الرجاء | أنا لولا أنت لم أحفل بمن راح وجاء
فغداً لا نعرف الغيب ولاماض تولى | وغداً لايعرف القلب لهذين محلا
وغداً تصطخب الجنة أنهاراً وظلاً | وأحييك ولكن بفؤادى ليس.. إلا!

***

إنه ولاشك مجهود كبير بذله الشاعر الهادى آدم حتى تصل كلماته إلى صوت وحنجرة كوكب الشرق أم كلثوم ، وكذلك إلى آذان الملايين من عشاقها.. كماكتبت له فى الوقت نفسه شهادة بقاء أبدى فى عالم الشهرة وعالم قصائد الشعر!.

ومن أجل ذلك رأينا ضرورى أن نقدم له باقة كلمات. قد سطر بعضها عن نفسه.. واستكملنا البعض الآخر، وقد استهل ماكتبه عن نفسه فى مقدمة ديوانه «كوخ الأشواق» بقوله : «لعل من أصعب الأشياء أن يقدم المرء نفسه بنفسه .. ولكن لايقل عن ذلك حرجاً أن يدع غيره يحدثه عن خلجات نفسه، وقد اخترت الأولى على الثانية، ولى من الأصدقاء الأجلاء من يشرفنى أن يقدموا شعرى للناس فما عساى أن أقول »[1].

ومن أهم ما قيل من معلومات عن هذا الشاعر.. أن اسمه بالكامل هو الهادى آدم الهادى.. ولد بقرية الهلالية فى عام ١٩٢٧ بمديرية النيل الأزرق بالسودان وتلقى تعليمه الأولى بمدرسة الهلالية ثم التحق بمعهد أم درمان العلمى . وبعد تخرجه عمل فى الصحافة السودانية.. ثم أُرسل فى بعثة دراسية إلى مصر حصل فيها على الليسانس من كلية دار العلوم، كما حصل على دبلوم فى التربية وعلم النفس من جامعة عين شمس.. وعمل كذلك مدرساً بوزارة المعارف السودانية.. وله عدة مؤلفات فى مجال المسرح والشعر.

---

(١) من مقدمة ديوان : كوخ الأشواق - الهادى آدم عام ١٩٦٢ . مكتبة الكاملابى.

٤ علي أحمد باكثير
شاعر من اليمن

لأول وهلة كنت أتصور أن شاعرنا الراحل الكبير على أحمد باكثير، والذى تغنت بكلماته سيدة القصيدة العربية أم كلثوم، ليس عربى الأصل..، وذلك لكثرة ما تردد بشأن هذا الأصل، نظراً لارتباطه بمولده خارج الوطن العربى، حيث ولد فى إحدى مدن إندونيسيا!.

ولكن وبإجماع المصادر قديمها وجديدها،إتضح لنا أن على أحمد باكثير الذى عرفناه كاتباً مسرحياً وروائيًا إنما هو شاعر كبير من اليمن وقد رحلت أسرته من مدينة حضرموت من أجل التجارة، واستقرت لسنوات بعينها والتى ولد خلالها.. فى إحدى مدن إندونيسيا!

ورغم أن على أحمد باكثير قد ولد فعلاً بمدينة «سور أبايا» الأندونيسية إلا أن ولاءه وثقافته وفكره وإنتاجه ظل مرتبطا بالعالم العربى وببلاده اليمن السعيد، بل وأن هناك من المصادر التى تؤكد أن على باكثير قد ولد فى مدينة حضرموت نفسها.. ثم رحل مع إسرته إلى موطنه الجديد بأندونيسيا.

ولقد شاء حظ هذا الأديب العربى البارع أن ينضم إلى قافلة الشعراء العرب من الذين تغنت بكلماتهم سيدة الغناء العربى أم كلثوم، بل وكانت قصته المشهورة «سلامة القس»، هى أحد أفلام سيدة الغناء العربى التى مثلته فى عام ١٩٤٤!!.. وهو الفيلم الذى غنت فيه سبع قصائد عربية بالإضافة إلى كلمات على أحمد باكثير نفسه التى يقول فيها:

قالوا أحب النفس.. سلامة ... وهو النقى الورع الطاهر
كأنما لم يدر طعم الهوى ... والحب إلا الرجل الفاجر
يا قوم إنى بشر مثلكم ... وفاطرى ربكم الفاطر
لى كبد تهفو كأكبادكم ... ولى فؤاد مثلكم شاعر

***

وقد غير أم كلثوم فى بعض كلمات هذه الأبيات بما يتفق مع الألحان التى وضعها الموسيقار رياض السنباطى .. ومن هذه التعديلات ماجاء فى البيت الأول .. إذ غيرت أم

كلثوم كلمة «الناسك» واختارت بدلاً منها.. كلمة «الورع» .. كذلك غيرت فى كلمات البيت الثانى.. فأصبح :

كأنما لم يدر طعم الهوى والحب إلا الرجل الفاجر

بدلاً من :

كأنما لم يدر قبلى الهوى إلا الغوى الفاتك الفاجر!

وعلى الرغم من قلة ماغنته أم كلثوم للشاعر والأديب اليمنى على أحمد باكثير إلا أنها ما زالت تحظى باهتمام قطاع عريض من المستمعين من عشاق صوت وفن أم كلثوم.، وربما يكون السبب فى ذلك أنها قد ارتبطت بأحد أدوارها السينمائية المشهورة.

ولذلك كان لزاماً علينا ضرورة البحث فى شأن هذه الأبيات وبيان موقعها من إنتاج على أحمد باكثير سواء ما نشر له فى بعض الدواوين أو فى أعماله الأدبية الأخرى..

ولقد كانت مفاجأة على الأقل لى شخصيا.. أن أعثر على هذه الأبيات ليس فى ديوان شعر..ولكن فى إحدى أعماله الروائية التى صدرت فى عام ١٩٤٤ تحت عنوانه :«سلامه القس».

هذه الرواية التى نشرتها لجنة النشر للجامعيين بعد فوزها بإحدى الجوائز الأدبية وهى جائزة «قوت القلوب»..وكما جاء على غلاف هذه الرواية.

بل والأكثر من ذلك مفاجأة أن هذه الأبيات كتبها الشاعر على أحمد باكثير على لسان بطل الرواية عبدالرحمن بن عماد.. وأخذت ترددها سلامة بعدما وُضعت لها الألحان حتى خيل إلينا أن الشاعر باكثير قد نقلها عن آخرين. لكى توافق أحداث روايته الدرامية التاريخية .. ولكن اتضح لنا عكس ذلك أيضاً. إذ عثرنا على بعض الأدلة التى تثبت أن هذه الأبيات هى من تأليف على أحمد باكثير نفسه.

ولعلنا هنا ننقل جزءاً من الحوار الذى دار بشأن هذه الأبيات – فى الرواية التى كتبها على أحمد باكثير ونقلها إلى السينما بنفس أحداثهاتقريباً.

«طفق عبد الرحمن يبكى وهو يمسح دموعه.. حسبك يا سلامة حسبك» لكأنى والله لم أقل هذه الأبيات .. لقد كسوتها بتلحينك روحاً لم تكن.. فقالت سلامة : إنما أعجبنى شعرك فألهمنى هذا التلحين» (١).

وبطبيعة الحال فإن هذا اللحن لم تأخذ به أم كلثوم .. بل عهدت بهذا اللحن إلى موسيقارها المفضل أنذاك وهو رياض السنباطى.. الذى أبدع فى تلحينها إبداعه فى غيرها من القصائد!

(١) رواية سلامة القس – ص ٦٥ تأليف على أحمد باكثير وصدرت فى عام ١٩٤٤.

وفيما يتعلق بتأليف على أحمد باكثير لهذه الأبيات.. وسبب استعانته بالشعر فى سياق أحداث أعماله الروائية . يقول الدكتور عبده بدوى محللاً هذه الظاهرة :«إن انتاجه الغزير يؤكد أن شكل القصيدة الغنائية بصفة خاصة كان أثيراً عنده.. وأنه كان من خلاله يقول الكثير .. بل إنه فى أعماله النثرية كان ينتهز الفرصة ليضع الشعر على لسان أبطاله.. وما أكثر ما تظهر شخصية الشاعر فى العديد من أعماله، وهو يضعها فى الغالب فى دائرة الحق والنور ، وقليلا ما يضعها فى دائرة التآمر والإدانة[١].

***

هذا عن القصيدة .. فما لنا بالمؤلف نفسه، وقد تعودنا أن نعيش لو للحظات مع بعض لمحات من سيرته الذاتية التى نستكمل بها هذا المشوار القصير ..

ومما لاحظناه أن سيرة حياة على أحمد باكثير قد حفلت بها العديد من الكتب وكذلك الكثير من الأبحاث والدراسات، لكننا هنا سوف نورد فقط بعضا منها. خاصة فيما يتعلق بحياته ونشأته وأعماله الأدبية.

فقد ولد على أحمد باكثير فى عام ١٩١٠ بمدينة «سورا بايا» بإندونيسيا .. ولكنه سرعان ما عاد إلى بلدته حضرموت باليمن- وذلك كعادة «أهل حضرموت فى إرسال أبنائهم إلى موطنهم الأصلى وهم صغار ليعيشوا فى بلادهم لغة وعادت هذا الوطن.

وفى حضرموت موطن والديه عاش فى مناخ إسلامى ساهم فى إقباله على حفظ القرآن الكريم ، والإطلاع على العديد من كتب التراث.

وفى هذا الجو وجد نفسه يدندن بالشعر مبكراً فحاول دخول عالمه الساحر العجيب، وكانت مشكلات مجتمعه أنذاك هى المجال الخصب لأشعاره المبكرة هذه ،كذلك تأثر فى هذه الفترة المبكرة من حياة بالشاعرين العربيين الكبيرين المتنبى وشوقى.

وهناك من المصادر التى روت بعض لمحات من حياته والتى تؤكد أن على أحمد باكثير عاد من جديد إلى موطن والديه الجديد فى أندونيسيا حيث راح ينمى مواهبه فأتم حفظ القرآن الكريم وأتقن اللغة الإنجليزية حتى تفوق فيها، كما تزوج أيضاً هناك، وعاش حياة أسرية سعيدة مع شريكة حياته، ولكن القدر فجعه فيها فلم يعد يطيق العيش بدونها حيث هو.. فرحل إلى الحجاز فى عام ١٩٣٢ وطاف فى طريق إليها باليمن والحبشة والصومال...

---

(١) قضايا حول الشعر.. ج (١) - تأليف الدكتور عبده بدوى - من إصدارات الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وفى الطائف أقام فترة هناك مارس فيها هوايته الأدبية فكان من نتاجها الأول.. أولى مسرحياته «همام أو فى بلاد الأحقاف»، وفى عام ١٩٣٤ رحل إلى القاهرة والتحق بكلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية..[١].

وفى مدينة القاهرة توهجت مواهبه الأدبية حتى صارت له مكانته المرموقة فى أوساطها الأدبية . خاصة عندما ترجم مسرحية شكسبير «روميو وجوليت».. وكانت تلك أولى خطواته فى الشعر المرسل.

***

ومما يروى فى سيرة حياته أنه عمل بالتدريس فى مدرسة الرشاد الثانوية بالمنصورة عام ١٩٤٠ ... وفى عام ١٩٥٥ ترك التدريس وعمل بوزارة الثقافة. وكانت أخر مناصبه الوظيفية.. مدير المكتب الفنى للرقابة على المصنفات الفنية حتى توفاه الله فى العاشر من شهرنوفمبر عام ١٩٦٩.

وقد أطلق عليه النقاد لقب أديب العروبة والإسلام، ولعل أشهر أعماله الأدبية فى هذا السياق روايته «وا إسلاماه» . ومن أشهر سمات أعماله الأدبية أنه كان يستهلها جميعاً بأيات الذكر الحكيم.

(١) من أدباء الإسلام المعاصرين - على الجمبلاطى.

٥ أحمد العدوانى
شاعر من الكويت

لو أننا استعرضنا سوياً خريطة ملونة للعالم العربى.. وذلك لتحديد موقع كل دولة عربية من الدول التى اختارت منها أم كلثوم شعرائها، لاكتشفنا حقيقة فى غاية الأهمية.. مؤداها أن سيدة القصيدة العربية حققت مانسميه بالوحدة الفنية والأدبية بين شعوب هذه الدول، إضافة لماحققته على مدى مشوارها الفنى الطويل من وحدة من نوع خاص بين أبناء هذه الدول الذين كانوا يجتمعون لسماع صوتها ليلة كل خميس من أول كل شهر!.

مما يعنى أن هذه الفنانة العظيمة كانت بالفعل فنانة غير مسبوقة لا فى عصرها ولا فى العصور التالية !، إذ كان هدفها الأول هو خلق نوع من التوافق فى الذوق وفى المشاعر والأحاسيس بين أبناء الوطن الواحد مستخدمة فى ذلك أدوات لم يفطن إليها غيرها!

وإذا مانظرنا فى هذا السياق لاختيارها لكلمات شاعر الكويت الراحل الكبير أحمد العدوانى، سوف نضع أيدينا على بعض هذه الأدوات، والتى كان فى مقدمتها المشاركة فى إحياء المشاعر الوطنية لأبناء البلاد العربية.. ليس فقط برسائل التهانى وباقات الورود بل بترديد كلمات تعبر عن نبض هذا الشعب أو ذاك!.

وتجربتها الحيوية مع كلمات الشاعر أحمد العدوانى.. تثبت ذلك وأكثر.. إذ بادرت أم كلثوم من تلقاء نفسها بطلب كلمات لأحد شعراء دولة الكويت لكى تتغنى بها لمشاركة هذا البلد العربى الشقيق فى الاحتفال بعيد استقلاله الأول .

وهكذا خُلقت تجربتها مع كلمات الشاعر أحمد العدوانى فى عام ١٩٦٠ وقصيدته الأولى «يادارنا يادار» والتى تقول كلماتها:

يـــادرنـــا يـــا دار ... يـــامـــنـــيـــت الأحـــرار
يـــانجـــمـــة لـــلـــســـنـــا عـــلـــى ... جـــبـــيـــن المـــنـــى
الـــســـحـــر لمـــا دنـــا ... غـــنـــى لـــنـــا الأشـــعـــار
الـــتـــبـــر فـــى بـــرهـــا ... والـــدر فـــى بـــحـــرهـــا

والحب فى صدرها نبع من الأيثار
يانفحة من أريج مست عروس الخليج
فجر وروض بهيج ما أسعد الأطيار
نعم عشقنا ثراه نعم وعشنا فداه
وكلنا فى هواه سامى الحمى والجار
قالوا الكويت استقل وبدره قد كمل
اليوم نلنا الأمل ودانت الأقدار
فى ظل شمس الصباح زعيمنا للكفاح
إلى مراقى النجاح أميرنا المغوار

***

ولقد نشر الشاعر الكويت أحمد العدوانى هذه القصيدة فى أحد دواوينه والتى صدرت مؤخراً ضمن أعماله الأدبية الكاملة من بعد رحيله.. ولاحظنا فيها كذلك وجود بعض التعديلات التى أدخلتها أم كلثوم حتى تتوافق مع الألحان.. وقد انصبت تلك التعديلات على إغفال بعض الأبيات بغرض الاختصار .. كما اتضح لنا أن أم كلثوم والملحن رياض السنباطى فى هذه التعديلات قد أغفلوا تكرار البيت الذى يقول فيه الشاعر:

يادارنا يا دار يامنبت الأحرار

وذلك وفق ماجاء بالقصيدة الأصلية المنشورة بالديوان .

وبخلاف ذلك اختارت أم كلثوم أربعة عشرة بيتاً فقط.. وبالتالى أغفلت حوالى ثلاثة عشرة بيتاً، كماجاء اختيارها لهذه الأبيات بشكل عشوائى دون مراعاة لترتيب القصيدة.

وجاء فى مطلع الأبيات التى أغفلتها أم كلثوم:

فيها تراث الجدود مواكب للخلود!

وفى ختامها قال الشاعر أحمد العدوانى:

فجر وروض بهيج ما أسعد الأطيار

وأما أشهر الأبيات التى غنتها أم كلثوم والتى شملها تعديل فى بعض كلماتها .. فهى الأبيات التى تقول فيها:

نعم عشقنا ثراه نعم وعشنا فداه
وكلنا فى هواه سامى الحمى والجار

وقد استبدلت أم كلثوم بذلك كلمات الشاعر.. الذى كتب يقول:

نعمر عشقنا ثراك نعمر وعشنا فداك!

وكذلك البيتين التى تقول فيهما أم كلثوم:

قالوا الكويت استقل وبدره قد كمل
اليوم رنلنا الأمل ودانت الأقدار

فقد استبدلت قول الشاعر خاصة فى الشطر الثانى من البيت الأول، «فقلت بدركمل» .. أما فى البيت الثانى فكان التعديل أكثر حيث كتب الشاعر يقول:

اليوم طاب العمل وطابت الأخطار

***

وفى عام ١٩٦٦ كررت أم كلثوم تجربة غناء إحدى قصائد الشاعرالكويتى الراحل أحمد العدوانى.. وهى أيضاً اغنيةوطنية سجلتها لإذاعة الكويت فى العام نفسه، بعنوان: «أرض الجدود».

وتقول فيها:

شدا لك المجد وغنى الظفر فاختال بدوو تباهى حضر
أرض الجدود والليالى سير ما أشرقت إلا عليك الدير
قالوا الكويت قلت هذا كوكب تهفو له النجوم حين تنظر
العز فى ساحاته منابت طابت مجانيها وطاب الشجر
أرض الجدود لا برحت للهوى منازلاً يخطر فيها القمر
عشنا على ثراك يدعونا له هوى على نفوسنا مقدر
وذكريات كلما طافت بنا تنفس الورد وفاح العنبر
قل للكويت تلك أعراس المنى يزفها إليك عهد ناضر
صحائف التاريخ رفت حوله تكتب للخلود ما يقرر
ما أعظم الدستور فى ظلاله شعب على أقداره يسيطر
قائده إلى العلا أميره أكرم بمن يقوده ويأمر
شيخ الأمور ماغدت مظلمة إلا جلاها منه رأى نير
العزم والقوة فى ردائه تزينها الحكمة والتبصر
شاد على الحب أساس حكمه والحب للحكم الكريم مصدر

***

وبالرجوع إلى الديوان الذى نشرت به هذه القصيدة لاحظنا أن ما شهدته من تعديلات يُعد طفيفاً جداً بالقياس لما شهدته القصيدة السابقة.. ولانعرف السبب وراء ذلك!.

وقد يكون لتدخل الشاعر هذه المرة رأى فى عدم الأكثار من التعديلات .. حتى أن عدد أبيات هذه القصيدة تم الالتزام به من جانب أم كلثوم وملحنها رياض السنباطى، ما عدا بيت واحد فقط.. وهو البيت الذى نشره المؤلف فى ديوانه وجاء ترتيبه قبل الأخير.. والذى قال فيه:

يمر بالخطب العبوس باسماً كالبدر فى غيب الدياجى يسفر

وقد أهملته أم كلثوم.. ربما لكلماته غير المتفائلة والتى تشير إليها.. بخلاف ما جاء فى كل أبيات هذه القصيدة..

ومن التغييرات الطفيفة الأخرى التى شهدتها أبيات هذه القصيدة .. اختيار أم كلثوم لكلمة «ما أشرقت» .. بدلاً من «هل أشرقت».. فى البيت الثانى .. وكذلك اختيارها لكلمة «هذا كوكب » بدلاً من «ذاك كوكب»! فى البيت الثالث ، أما فى البيت الثامن فقد غيرت أم كلثوم كلمة «ناضر» بدلاً من «نضر»!

ونستطيع أن نقول فى السياق نفسه أن قصيدة الشاعر الكويتى أحمد العدوانى تعتبر بحق من أكثر القصائد العربية لشعراء العصرالحديث التى لم يشملها تغيير كبير.

***

.هذا عن القصيدتين وما جرى لهما من تعديل .. فماذا عن الشاعر أحمد العدوانى؟ إننا سوف نحاول الاقتراب من حياته ومن عالمه الشعرى من واقع ما سطره عنه المؤرخون والنقاد.

فقد ولد الشاعر الكويتى بمدينة الكويت، وفيها تلقى تعليمه الأولى ، ثم انتقل إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف فى عام ١٩٣٩ . ثم عاد مرة أخرى إلى الكويت بعد إتمام دراسته بالأزهر فى عام ١٩٤٩ ...وهناك اشتغل بالتدريس فى المدرسة القبلية ثم فى مدرسة ثانوية الشويخ، والتى ظل يعمل بها فى عام١٩٥٦ ، حتى نقل إلى وظيفة السكرتير العام لإدارة المعارف بالكويت .

وعندما استقلت دولة الكويت صدر مرسوم أميرى بترقية الشاعر أحمد العدوانى إلى وكيل مساعد إدارة التربية، وقد ظل بهذا المنصب حتى عام ١٩٦٥ .. حيث نقل بعدها إلى وزارة الإعلام.

وشارك الشاعر الكويتى طوال مشوار حياته فى تدريس اللغة العربية لسنوات عديدة .. كما شارك فى تأليف عدة كتب مدرسية .. وبإنتقال الشاعر أحمد العدوانى من وزارة المعارف إلى وزارة الإرشاد بدأت مرحلة جديدة فى حياته خاصة الثقافية والأدبية.

وأما عن دوره فى حركة الشعر العربى.. فيقول عنه صدقى خطاب الذى أعد دراسة هامة عن مسيرة الشاعرالكويتى الأدبية : إن أهم أعماله الأدبية هى ديوان شعر «أجنحة عاصفة» والذى صدر فى عام ١٩٨٠ ونشر به كل أشعاره التى ألفها ما بين عامى ١٩٤٦و١٩٦٠ .. توفى الشاعر أحمد العدوانى فى عام ١٩٩٠ [١].

---

(١) العدوانى .. كاتباً ورائداً - مؤسسة عبدالعزيز البابطين.

٦ جورج جرداق

شاعر من لبنان

بعد طول بحث استغرق أياماً وأسابيعاً وشهوراً، عن أصل قصيدة «هذه ليلتى» .. التى شدت بها أم كلثوم فى عام ١٩٦٨ .. للشاعر اللبنانى چورچ جرداق .. لم نوفق فى العثور على هذا الأصل فى كل ما كتب ونشره هذا الشاعر على مدى حياته كلها سواء الأدبية أو الصحفية، مما جعلنى أعيد البحث بكل ما أوتيت من قوة وصبر ـ لأجل الوصول إلى الشاعر نفسه والذى يعيش بيننا ـ ولكن على بعد آلاف الأميال!.

ولم يكن أمامى من وسيلة مضمونه، للوصول إلى ما أبغيه سوى السفر إلى لبنان للقاء چورچ جرداق .. أو الاتصال بمنزله تليفونياً، ولقد لعب الحظ دوره الكبير فى العثور فعلاً على رقم هاتفه الشخصى فى مدينة بيروت!، وبالفعل جربت هذه الوسيلة حيث جاء صوته عبر الهاتف، وبعد كلمات قصيرة شملها التعارف بيننا سألته مباشرة عن الديوان الذى نشر به قصيدته «هذه ليلتى» !، وكانت المفاجأة حين أخبرنى أنه لم ينشرها فى ديوانه، أو فى أى مكان أخر إلا عندما شدت بها أم كلثوم عام ١٩٦٨ . عندئذ سألته عن أهم التعديلات التى طلبتها أم كلثوم أنذاك .. فأخبرنى بها – وقال إنها فقط فى البيت الأول الذى تم تغييره بناء على رغبة كوكب الشرق أم كلثوم . وانتهت المكالمة التليفونية ـ وعرفت بالفعل الكلمات التى أجريت عليها التعديلات . ولسوف أسوقها .. بعد ما نعرف . كيف تم اللقاء بين هذا الشاعر وبين أم كلثوم ؟!

***

ففى عام ١٩٦٨ وفى شهر ديسمبر بالتحديد، وفى الحفل الذى أقامته سيدة القصيدة العربية يوم ٦ ديسمبر .. طلعت علينا أم كلثوم برائعة چورچ جرداق «هذه ليلتى» التى وضع لها الألحان الموسيقار محمد عبدالوهاب

وقد قيل آنذاك أن هذه القصيدة .. عرضها محمد عبدالوهاب على أم كلثوم فى صيف عام ١٩٦٧ .ولكن نظراً لوقوع نكسة يونية فى العام نفسه ظلت حبيسة الأدراج حتى نهاية عام ١٩٦٨ ..

وفى الفترة التى سبقت الإعداد لهذه الأغنية، طلعت علينا صحف هذه الأيام بتفاصيل كثيرة عن القصيدة وعن مؤلفها وعن الظروف التى تمت خلالها لقاءات الشاعر بأم كلثوم، فقد كتب الناقد الفنى آنذاك محمد وجدى قنديل» فى مجلة آخر ساعة، رداً على سؤال طرحه هو نفسه عن كيفية اختيار أم كلثوم لهذه القصيدة :«والقصة لها جذور أخرى تمتد إلى صيف عام ١٩٦٧ عندما كان عبدالوهاب . فى لبنان، وكان يبحث عن شىء جديد يغنيه بصوته والتقطت أذنه المرهفة كلمات ناعمة ورقيقة يرددها صديقه الشاعر اللبنانى چورچ جرداق. وكعادته حينما يستوقف حاسته الموسيقية كلمة أو نغم، وقد طلب من صديقه أن يكرر تلك الكلمات هو يهز رأسه فى إعجاب وشجن».

ولقد أكد چورچ جرداق هذا الأمر فى أكثر من حديث صحف أجرى معه فى الفترة نفسها، حيث قال رداً على سؤال : كيف أُعجب عبد الوهاب بقصيدتك؟! طلب عبدالوهاب قصيدة يلحنها لكوكب الشرق، وكنا نجلس فى لبنان على شرفة «إمبا سادور» أمام وادى لامارتين الشاعر الفرنسى المشهور، وأخذت أدندن بأبيات «هذه ليلتى» فقال لى: كمان ياحبيبى كمان.. ثم حدث بعدها أكثر من اجتماع ثلاثى بينى وبين أم كلثوم وعبدالوهاب..»

***

هذا عن ظروف اللقاء الذى تم فعلاً بين الشاعروبين أم كلثوم بواسطة محمد عبدالوهاب.. فماذا عن القصيدة نفسها وأهم التعديلات التى أدخلت عليها.؟ إن كتاب سجل أغنيات أم كلثوم قد نشر لنا هذه القصيدة كما شدت بها كوكب الشرق ونحن هنا ننقلهامن ذلك السجل المطبوع، حيث تقول كلماتها:

هذه ليلتى وحلم حياتى ... بين ماض من الزمان وآت
الهوى أنت كله والأمانى ... فاملأ الكأس بالغرام وهات
بعد حين يبدل الحب داراً ... والعصافير تهجر الأوطار
وديار كانت قديما ديارا ... سترانا كما نراها قفارا
سوف تلهوبنا الحياة وتسخر ... فتعالى أحبك الآن أكثر
والمساء الذى تهادى إلينا ... ثم أصغى والحب فى مقلتينا

لسؤال عن الهوى وجواب ... وحديث يذوب فى شفتينا
قد أطال الوقوف حين دعانى ... ليلم الأشواق عن أجفانى
فادن منى وخذ إليك حنانى ... ثم أغمض عينيك حتى ترانى
وليكن ليلنا طويلا طويلا ... فكثير اللقاء كان قليلاً
يا حبيبى طال الهوى ماعلينا ... لو حملنا الأيام فى راحتينا
صدفة أهدت الوجود إلينا ... وأتاحت لقاءنا فالتقينا
فى بحار تئن فيها الرياح ... ضاع فيها المجداف والملاح
كم أذل الفراق منا اللقاء ... كل ليل إذا التقينا صباح
ياحبيباً قد طال فيه سهادى ... وغريباً مسافراً بفؤادى
سهر الشوق فى العيون الجميلة ... حلم آثر الهوى أن يطيله
وحديث فى الحب إن لم نقله ... أو شك الصمت حولنا أن يقوله
يا حبيبى وأنت خمرى وكأسى ... ومُنى خاطرى وبهجة أنسى
فيك صمتى وفيك نطقى وهمسى ... وغدى فى هواك يسبق أمس
هلّ فى ليلتى خيال الندامى ... والنواسى عانق الخيام
وتساقوا من خاطرى الأحلام ... وأحبوا واسكروا الأيام
رب من أين للزمان صباه ... إن غدونا وصبحه ومساه
لن يرى الحب بعدنا من حداه ... نحن ليل الهوى ونحن ضحاه
ملء قلبى شوق وملء كيانى ... هذه ليلتى فقف يا زمان.

***

ومن أهم ما أجراه الشاعر چورچ جرداق على كلمات هذه القصيدة كما أخبرنا فى الاتصال الهاتفى.. وكما أسلفنا من قبل.. قوله فى البيت الأول:

هذه ليلتى..وهذا العود ... بثّ فيه من سحر داود.

وقد أصبح بعد التعديل الذى طلبته أم كلثوم:

هذه ليلتى ...وحلم حياتى ... بين ماض من الزمان وآت

وكانت صحف هذه الأيام قد أشارت إلى قيام چورچ جرداق بإجراء هذا التعديل دون أن تشير إليه.. نظراً لحرص الشاعر على عدم الإفصاح عنه.

ومما ذكرته هذه الصحف.. أن أم كلثوم قد أبدت بعض ملاحظاتها من وجهة نظرها على بعض كلمات القصيدة بعد أن عرضها عليها محمد عبدالوهاب.. مما جعله يتصل بالشاعر جورج جرداق لكى يحضر إلى القاهرة.. لإجراء التعديلات المطلوبة.. كما نشرت صحف هذه الأيام الأبيات التى قام بتعديلها جورج جرداق.. ، وجاءت هذه التعديلات مطابقة لما أبلغنا به الشاعر اللبنانى فى الاتصال التليفونى السابق الإشارة إليه..

***

وكان علينا وحتى تكتمل الفائدة .. ضرورة الوقوف على بعض الذى نُشرعن شاعرنا صاحب كلمات قصيدة «هذه ليلتى».. ولقد اكتشفنا أن جورج جرداق قد أملاه بنفسه.. لتنشر فى «موسوعة شعراء العرب الحديثة» ..

ومما جاء فى هذه الموسوعة عن الشاعر اللبنانى: أن اسمه بالكامل جورج سمعان جرداق.. من مواليد عام ١٩٣١ فى مرجعيون التى درس بها اللغتين العربية والفرنسية، ثم إنتقل إلى بيروت ليكمل دراسته فى الكلية البطريركية، وقد عمل بعد تخرجه فى سلك التعليم ثم فى الصحافة. كما كتب ألوانا عديدة من الأدب.. منها المسرح والقصة، كما كتب أكثر من ٥٠ قصيدة تغنى بها كبار المطربين والمطربات.

ومن أهم أعماله الشعرية: ديوان أنا شرقية – بوهيمية – آلهة الأولمبى وقصائد حب .. كما نشرت له عدة أعمال أدبية وفكرية أخرى من أهمها : كتابه «علىّ وحقوق الإنسان» و«العرب والإسلام» ـ «فى الشعر الأوروبى» . كما أن له عدة دراسات .. كتبت بالفارسية والعربية.

٧ محمد إقبال
شاعر من باكستان

رغم أن إقدام سيدة القصيدة العربية أم كلثوم على غناء كلمات من قصيدتين كبيرتين للشاعر الباكستانى محمد إقبال، قد تم تكريماً له فى الاحتفال الذى إقامته بلاده فى ذكراه فى عام ١٩٦٧ .. إلا أن قيام أم كلثوم بهذه الخطوة يعد فى حد ذاته إتمامًا للخطوات السابقة التى خطتها بفهم عميق ؛ خاصة فى مجال القصائد العربية.

هذه الخطوة المهمة التى تمثلت فى واقع الأمر فى فتح باب التعامل بالنسبة لصوتهامع شعراء من خارج البلدان العربية، وكان الفليسوف الباكستانى محمد إقبال على رأس هؤلاء الشعراء من الذين تعاملت مع كلماتهم أم كلثوم ! فى العصر الحديث، حيث لم تكن هذه هى التجربة الأولى لكوكب الشرق بل سبقتها تجربة أخرى ولكن فى مجال شعر التراث.. إذ تغنت بكلمات إحدى قصائد الشاعر الفارسى المشهور عمر الخيام.. من بعد ترجمتها إلى العربية.

ولكن من أهم مالا حظناه هنا خاصة بالنسبة لعامل الاختلاف هو أن أم كلثوم قداحتفظت باسم الشاعر الفارسى عمر الخيام مقروناً باسم المترجم وهو الشاعر أحمد رامى، وأما فى حالة محمد إقبال فقد احتفظت أم كلثوم فقط باسم المؤلف الأصلى لما تغنت به.. وأهملت اسم المترجم !!

وقد كتُبت الأولى بالفارسية وكتبت الثانية بالأوردية، وجاء هذا الاكتشاف مواكبًا لرجوعنا إلى كل ما كتب محمد إقبال سواء إلى أعماله الكاملة أو المنقول عنها مختارات مترجمة إلى اللغة العربية!

ففى كتاب «إيوان إقبال». والذى صدر بمناسبة الاحتفال بذكرى رحيله.. عثرنا على القصيديتين اللتين إختارت منهما أم كلثوم كلمات إغنيتها «حديث الروح» ..وقد أعد هذا الكتاب مترجماً إلى العربية الأديب الصاوى شعلان.

***

ولقد رأينا من قبيل الإفصاح عن المزيد عن هذه المفارقات ضرورة اتباع المنهج نفسه

والذى يلزمنا أولاً بالحديث عن أغنية أم كلثوم.. ثم مضاهات كلمات ماتغنت به بما كتبه ونشره الشاعر فى ديوانه.

ففى أول حفل غنائى تقيمه أم كلثوم من بعد وفاة الملحن الكبير محمد القصبجى وفى ٧أبريل من عام ١٩٦٧ .. غنت كوكب الشرق قصيدة «حديث الروح» للشاعر الباكستانى الفليسوف الدكتور محمد إقبال . وهى مكونة من سبعة مقاطع كبيرة وكل مقطع منها تتراوح أبياته عدداً ما بين أربعة وخمسة أبيات ..

وتقول كلمات هذه القصيدة

حديث الروح للأرواح يسرى ... وتدركه القلوب بلا عناء
هتفت به فطار بلا جناح ... وشق أنينه صدر الفضاء
ومعدنه ترابى ولكن ... جرت فى لفظه لغة السماء
لقد فاضت دموع العشق منى ... حديثا كان علوى النداء
فحلق فى ربا الأفلاك حتى ... أهاج العالم الأعلى بكانى

***

تحاورت النجوم وقلن صوت ... بقرب العرش موصول الدعاء
وجاوبت المجرة علّ طيفاً ... سرى بين الكواكب فى خفاء
وقال البدر هذا قلب شاك ... يواصل شدوه عند المساء
ولم يعرف سوى رضوان صوتى ... وما أحراه عندى بالوفاء

***

شكواى أم نجواى فى هذا الدجى ... ونجوم ليلى حسدى أم عودى
أمسيت فى الماضى أعيش كأنما ... قطع الزمان طريق أمسى عن غدى
والطير صادحة على أنانها ... تبكى الربى بأنينها المتجدد
قد طال تسهيدى وطال نشيدها ... مدامعى كالطل فى الغصن الندى
فإلى متى صمتى كأنى زهرة ... خرساء لم ترزق براعة منشد

***

قيثارتى ملئت بأنات الجوى ... لابد للمكبوت من فيضان
صعدت إلى شفتى خواطر مهجتى ... ليبين عنها منطقى ولسانى
أنا ما تعديت القناعة والرضا ... لكنها هى قصة الأشجان

يشكو لك اللهم قلب لم يعش ... إلا لحمد علاك في الأكوان

***

من كان يهتف باسم ذاتك قبلنا ... من كان يدعو الواحد القهارا
عبدوا الكواكب والنجوم جهالة ... لم يبلغوا من هديها أنوارا
هل أعلن التوحيد داع قبلنا ... وهدى القلوب إليك والأنظارا
ندعو جهاراً لا إله سوى الذى ... صنع الوجود وقدر الأقدارا

***

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ... ولادنيا لمن لم يحى دينا
ومن رضى الحياة بغير دين ... فقد جعل الفناء لها قرينًا
وفى التوحيد للهمم اتحاد ... ولن تبنوا العلا متفرقينا

***

ألم يبعث لأمتكم نبى ... يوحدكم على نهج الوئام
ومصحفكم وقبلتكم جميعًا ... منار للأخوة والسلام
وفوق الكل رحمن رحيم ... إله واحد رب الأنام

***

وفى الكتاب المشار إليه آنفاً والذى ترجمه الأديب الشيخ «الصاوى شعلان» عثرنا على هذه الكلمات وقد اختارتها أم كلثوم من قصيدتين نشرهما الشاعر محمد إقبال فى ديوانه «صلصلة الجرس» .. القصيدة الأولى نشرت تحت عنوان :«شكوت إلى الله» - والثانية تحت عنوان «جواب الشكوى» ..

ومما لاحظناه هنا أن أم كلثوم حين اختارت هذه الكلمات، بدأت ما غنته بأبيات الجزء الثانى من هذه القصيدة والذى نشره الشاعر تحت عنوان :« جواب الشكوى» !! وهو الذى يقول فيه:

كلام الروح للأرواح يسرى ... وتدركه القلوب بلا عناء

ولقد استبدلت أم كلثوم وكما هو ملاحظ كلمة «حديث» .. بدلاً من « كلام » كما اتخذت من هذه الكلمة نفسها عنوانًا القصيدة، وكذلك التزمت بعدد أبيات ما بها من مقاطع - فجاء المقطع الأول يحتوى على خمسة أبيات وقد غنتهم أم كلثوم جميعها بلا تغيير إلا فى كلمة واحدة سبق الإشارة إليها.

وأما بالنسبة للمقطع الثانى والذى بدأه الشاعر بقوله :

تحاورت النجـوم وقلن صوت

بقرب العرش موصول الدعاء

فقد حذفت منه أم كلثوم البيت الذى يقول فيه محمد إقبال :

ألم أك قبل فى جنات عدن فأخرجنى إلى حين قضائى.

ثم توالت بعد ذلك التعديلات الكبيرة فى هذا الجزء من القصيدة .. على خلاف ماكتبه الشاعر إقبال .. إذ أهملت أم كلثوم خمسة مقاطع منها، ومن المقطع السادس إختارت ثلاثة أبيات فقط وهى التى تقول فى بدايتها :

إذا الإيمان ضاع فلا أمـان

ولا دنيا لمن لـم يحى دينا

وقد وضعت أبيات هذا المقطع وفق الترتيب العام لما غنته فى المقطع قبل الأخير..كما أهملت بيتين كتبهما المؤلف فى المقطع نفسه وهما اللذان يقول فيهما محمد إقبال :

لـقـد ذهـب الـوفـاء فـلا وفـاء وكـيـف ينـال عـهـدى الـظـالمـيـنـا

تـسـانـدت الـكـواكـب فـاسـتـقـرت ولـولا الجـاذبـيـة مـابـقـيـنـا

ثم أهملت كوكب الشرق ثلاثة مقاطع أخرى... ومن المقطع العاشر.. اختارت ثلاثة أبيات اختتمت بها ما غنته من كلمات..

***

هذا بالنسبة لماحدث للقصيدة الأولى.. أما القصيدة الثانية والتى نشرت بالديوان تحت عنوان :« الشكوى إلى الله» ، فقد اختارت منها أم كلثوم عدة أبيات ضمنتها عدة مقاطع، لكن الملاحظ فى هذا الجزء أنها حافظت على الترتيب العام الذى ارتضاه الشاعر، مع إضافة بعض التعديلات التى أدخلتها على الكلمات حتى تتوافق مع الألحان.

وكلمات هذا الجزء من القصيدة الثانية فهو الذى يبدأ بقول الشاعر :

شكواى أم نجواى فى هذا الدجى

ونجـوم ليل حسدى أم عـودى

وفى المقطع الثانى من القصيدة والذى احتل المقطع الرابع فيما غنته أم كلثوم، والذى تقول فى مطلعه :

قيثارتى ملئت بآنات الجوى

فقد أهملت منه البيت الثانى والذى يقول فيه محمد إقبال :

أشكو وفى فمى التراب وإنـما
أشـكـو مصاب الدين للديان

كما احتل المقطع الثالث من الأغنية المقطع الرابع من القصيدة. وهو الذى تقول فى مطلعه أم كلثوم:

من كان يهتف باسم ذاتك قبلنا

وقد غيرت فيه بعض الكلمات .. فاختارت كلمة «من كان» بدلاً من كلمة «من قام».. كما أهملت البيت الذى يقول فيه الشاعر:

عبدوا تماثيل الصخور وقد سوا
من دونك الأحجار والأشجـــار

***

والشاعر محمد إقبال كما هو معروف لنا يُعد من شعراء الإسلام المعاصرين وقد تحدث عن مشوار حياته العديد من المؤرخين والنقاد وأساتذة الجامعات سواء فى مصر أو فى غيرها، وقد أفردوا له ولحياته الصفحات الكثيرة.. حتى أن أستاذاً جامعياً متخصصا فى الفلسفة الحديثة كتب عنه فصلاً كاملاً باعتباره أحد رواد العقل والتنوير فى الفكر العربى والإسلامى الحديث، حيث قال عنه الدكتور عاطف العراقى: «لقد بحث محمد إقبال فى العديد من القضايا الفكرية، والأدبية والفنية.. ويمكننا القول بأن فكر محمد إقبال يعد من نوع الفكر المفتوح وليس من طراز الفكر المغلق الجامد.. لقد وضع لنفسه وللمسلمين فلسفة أخذها من صميم عقيدته، ولكن على أساس النظر إلى العقيدة من خلال العمل والسلوك [1]».

ولد الشاعر والفليسوف الدكتور محمد إقبال فى عام ١٨٧٣ فى سيالكوت بالبنجاب.. من إسرة برهمية الأصل اعتنقت الإسلام منذ ثلاثة قرون وهاجرت من موطنها كشمير واتخذت من إقليم البنجاب وطناً جديداً استقرت فيه . ولقد بدأ إقبال مراحل تعليمه الأولى فبدت عليه آفاق النبوغ وسمات الذكاء فكان يتفوق على زملائه آنذاك.. ويفوز بالجوائز العلمية فى كلية الحكومة «لاهور» حيث تلقى هناك تعليمه ومبادئ الفلسفة، وما أن أتم تعليمه فى هذه الكلية حتى إختير لتدريس الفلسفة بها [2].

وأما الشعر فقد بدأ إقبال ينشده فى سن مبكرة. وله عدة مؤلفات فى العديد من مجالات الفكر والأدب.

---

(١) العقل والتنوير فى الفكر العربى الحديث - د. عاطف العراقى.
(٢) من إدباء الإسلام المعاصرين - على الجمبلاطى - مصدر سابق.